كلية : الآداب

القسم او الفرع : اللغة العربية

المرحلة: ماجستير الادب

أستاذ المادة : أ.د. جاسم محمد عباس

اسم المادة باللغة العربية : تحليل نصوص ادبية

اسم المادة باللغة الإنكليزية : *Literary text analysis*

اسم المحاضرة الثانية باللغة العربية: الجذور الاولى للتحليل

اسم المحاضرة الثانية باللغة الإنكليزية : The most famous authors of Orientalism

محتوى المحاضرة الثانية

" وقد كان البلاغيون عند اعترافهم بفكرة المقام متقدمين ألف سنة تقريباً على زمانهم ، لأن الاعتراف بفكرتي المقام أو المقال بوصفهما أساسين متميزين من أسس تحليل المعنى يُعَدُّ الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة " [44] .

وقد اهتم البلاغيون بملمح السياق وعدّوه أصلاً لما يمكن أن توصله الرسالة اللغوية ، وتنوعت تعليقاتهم حول السياق في إطار بحوثهم المختلفة للنص القرآني . ونلحظ عند أبي عبيدة (210 هـ) إشارته إلى الكيفية التي يتم التوصّل بها إلى فهم المعاني القرآنية ، وإدراك دلالاتها المتنوعة الثرية وذلك حسب السياق التي ترد فيه ، وكان ذلك حافزاً أساسياً لوضعه (مجاز القرآن) أو كما يقصده بأنه " الطرق التي يسلكها القرآن في تعبيراته " [45] .

وقد عمد أبو عبيدة إلى تبيان تلك الطرق الخاصة لأداء المعاني والدلالات في السياق القرآني ببيان السياق الدلالي لها عن طريق تفسير الكلمة اللغوية التي تحتاج إلى تفسير بالقرائن السياقية المختلفة كما يشيع ذلك في كتابه .

وقد عقد الجاحظ في البيان والتبيين مبحثاً عن سياق المقام [46] . كما كان كلامه عن تمييز أصناف الدلالات على المعاني مدخلاً لتمييز أساليب الدلالة على الأغراض ، وما تنتهجه تلك الأساليب للوصول إلى غاية المتكلم . يقول الجاحظ : " أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة : أولها اللفظ ، ثمّ الإشارة ، ثمّ العقد ، ثمّ الخط ، ثمّ الحال التي تسمّى نِصْبَة . والنِّصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف ، ولا تقصر عن تلك الدلالات ، ولكلّ واحد من هذه الخمسة صورة بائنة عن صورة صاحبتها ، وحلية مخالفة لحلية أختها ، وهي التي تكشف عن أعيان المعاني في الجملة ، ثمّ عن حقائقها في التفسير " [47] .

ومقصد الجاحظ هنا من (الحال) الدلالة على ملمح السياق الذي هو مناط الأمر في الحديث أو في عناصر الرسالة الكلامية .

ويؤكد الجاحظ على أنّ مدار الأمر في عملية التواصل اللغوي بكلّ أبعاده يتحدّد في أنّ " لكلّ ضرب من الحديث ضرب من اللفظ ، ولكلّ نوع من المعاني نوع من اللفظ ، ولذلك يجب إفهام كلّ قوم بمقدار طاقتهم ، والحمل عليهم على أقدار منازلهم " [48] . أي يجب عند صياغة الرسالة اللغوية مراعاة أحوال المتلقين ، وبيئة التلقي (سياقه) ، حتى تؤتي الرسالة ثمارها المرجوة .

ومن بحوث البلاغيين لمظاهر السياق ما أوضحه القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (392هـ) من وجود تأثير لبعض المواقف على سياق البناء اللغوي ، ويتضّح هذا التأثير من خلال النص ذاته . يقول القاضي الجرجاني عند حديثه عن أسباب اختلاف الناس في مقامات التعبير : " يرقّ شعرُ أحدهم ، ويصلب ويسهل لفظ أحدهم ، ويتوعّر منطق غيره ، وإنّما ذلك بحسب اختلاف الطبائع ، وتركيب الخلق ، فإنّ سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع ، ودماثة الكلام بمقدار دماثة الخلقة . وأنت تجد ذلك ظاهراً في أهل عصرك ، وأبناء زمانك ، وترى الجافي منهم كزّ الألفاظ ، معقّد الكلام ، وَعِر الخطاب ، حتى أنّك ربّما وجدت ألفاظه في صوته ونغمته ، وفي جرسه ولهجته ، ومن شأن البداوة أن تحدث بعض ذلك " [49] .

ويرى د. هادي نهر في تعليقه على منهج القاضي الجرجاني في إبراز أثر السياق وتأثره أنه توصّل إلى حقيقتين علميتين تُعدان حديثاً من منجزات الدلاليين المعاصرين ، وهما [50] :

الأولى : أنّ سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع ، والسلامة المقصودة عند الجرجاني لا تتمثل في السلامة اللغوية النابعة من بيئة اللغة من حيث بداوتها أو حضريتها ، وإنّما هي السلامة المرتبطة باتفاق العبارة أو الجملة مع الموقف النفسي للمرسِل أثناء صياغة رسالته .

والثانية : تميّز صاحب الرسالة ومنشؤها بخصائص في ألفاظه ولهجته ، مما يؤكّد أهمية الجانب الصوتي في صياغة الرسالة اللغوية ، وما يتعلّق بها من ظروف محيطة تتمثل في سياق الموقف أو المقام .

ومن وصايا ابن قتيبة (276 هـ) للكتّاب بوجوب مراعاة مقتضى الحال عند ممارسة الصنعة ، وذلك في الألفاظ والمعاني على السواء . يقول : " ونستحبّ له (أي الكاتب) أن ينزل ألفاظه في كتبه فيجعلها على قدر الكاتب والمكتوب إليه ، وأن لا يعطي خسيس الناس رفيع الكلام ، ولا رفيع الناس وضيع الكلام " [51] .

أما الرّماني (396هـ) فقد اتّضح في كلامه معرفته التامة بأهمية السياق في إدراك عناصر الرسالة اللغوية رغم ما يمكن أن يعتورها من انزياحات في التركيب أو في الدلالة عن طرق توظيف فنيات الحذف والاختصار والتقديم والتأخير [52] .

وترى د. عواطف المصطفى " أنّ حديث الرماني عن السياق بوصفه البيان هو الوسيلة الكاشفة لنا عن قناع المعنى ، وكذا السياق " [53] .

ويذهب أبو هلال العسكري (395هـ) إلى أنّ اختلاف العبارات يوجب اختلاف المعاني ، وأنّ السياق هو الوسيلة التي تفرّق بين قصدية معنى في مقام عن معنى آخر ، فالمعاني تناسب ما تشير إليه . يقول : " الشاهد على اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعاني أنّ الاسم كلمة تدلّ على معنى دلالة الإشارة ، وإذا أشير إلى الشيء مرة واحدة فعُرِف " [54] . فالقيمة الوظيفية للكلمة تتضح من خلال سياقها التي قيلت فيه ، ومقامها التي تدلّ عليه .

وتميّز عبد القاهرالجرجاني (471هـ) في تطبيق مفهوم السياق أثناء حديثه عن نظرية النظم، اذ " لا يعد الكلمة نقطة البدء – كما يظن– وإنما العكس هو الصحيح ، فالسياق هو نقطة البدء ، بحيث لا يمكن وجود كيان للتعبير إلا من خلاله ، وحينئذ من الواجب رصد السياق ، ثم البحث عن الألفاظ وعلاقتها فيه ثانياً " [55] .

وركز الجرجاني اهتمامه بدلالة النظم (السياق)، وأنّ اللفظ يكتسب معناه من التركيب وذلك لأنّ " الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف بها معانيها في أنفسها ، ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض ، فيعرف فيما بينها فوائد " [56]. حتى إنهم قد عرّفوا البلاغة بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال أو المقام ، أو ما يسمى عند المحدثين (سياق الموقف) فمقام الفخر غير مقام المدح ، وكلاهما يختلف عن مقام الدعاء أو الاستعطاف أو الهجاء أو غيرها . " أما بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته . ومقتضى الحال مختلف ، فإنّ مقامات الكلام متفاوتة ، فمقام التنكير يباين مقام التعريف ، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد ، ومقام التقديم يباين مقام التأخير ، ومقام الذكر يباين مقام الحذف ، ومقام القصر يباين مقام خلافه ، ومقام الفصل يباين الوصل ، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب ، وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي ، وكذا لكل كلمة مع صاحبتها مقام " [57] .